حركات القمر

يرى الانسان الارض قارّةً حولهُ ويرى الشمس والقمر وسائر الكواكب تطلع كل يومٍ من الشرق ثم تدور حول الارض حتى تغيب ورآء الافق الغربيّ ولكنهُ اذا راقب حركة الشمس والقمر وتتبع مكانهما بين الكواكب وجدهما ينتقلان انتقالاً بطيئاً من الغرب الى الشرق اي على عكس الحركة اليومية بحيث ان الشمس تعود الى موضعها بعد سنة والقمر يعود بعد شهر ثم تستأنفان دورةً اخرى وهلمّ جرًّا . فاما حركة الشمس فقد اصبح من المعلوم اليوم انها مرئيَّةٌ فقط وانما الحركة للارض حولها وبهذه الحركة نرى الشمس تنتقل في الجانب الآخر من فلك البروج واما حركة القمر فهي حقيقية لانهُ يدور حول الارض وان تشابهت الحركتان في الظاهر

والقمر يدور حول الارض في فلكٍ هليلجي مقدار التباين فيهِ $\frac{١}{١٨}$ اي اذا فرضنا ان المحور الاطول من فلكهِ ١٨ سنتيمتراً مثلاً كانت المسافة بين محترقيهِ سنتيمتراً واحداً ومحلّ الارض منهُ احد المحترقين على ما هي القاعدة في افلاك السيارات واقمارها ولذلك يختلف بعدهُ عنها على هذه النسبة كما يتبين من قياس قطرهِ المرئيّ فانهُ كلما بَعُدَ كان قطرهُ اصغر على ما يُستدرَك بالبداهة . ويقال للنقطة التي يكون فيها على ابعد مسافتهِ الأَوج وللنقطة المقابلة لها الحضيض وقياس قطرهِ في الاوج ٢٩َ و٣١ً وفي الحضيض ٣٢َ و٧ ، ٥٦ً وفيما بين ذلك ٣١َ و٢ ، ٨ً

غير ان حركة القمر حول الارض لا تطَّرد على وتيرةٍ واحدة لانهُ منقادٌ لجاذبية الارض والشمس فهما تعملان فيهِ على الدوام وتبدّلان حركتهُ واتجاههُ على وجوهٍ شتى يتغير بها فلكهُ شكلاً ووضعاً . وذلك أنَّا اذا راقبنا المحور الاطول من فلكه حيناً بعد آخر وجدنا ان لهُ حركةً سريعة من الغرب الى الشرق ينتقل بها ٣ْ كل شهرٍ نجمي فيتمّ دائرةً كاملة في مدة ٣٢٣٢ يوماً من الايام الشمسية المتوسطة وهي اقلّ قليلاً من ٩ سنوات

ويترتب على هذه الحركة في المحور اختلافٌ في هليلجية فلك القمر فانها تزداد تارةً وتنقص اخرى حتى يقرب من الدائرة وذلك تبعاً لاتجاه المحور المذكور فاذا كان موافقاً للخط الذي يجمع بين الارض والشمس اي بأن يكون القمر في التوليد او في اوان البدر فان جاذبية الشمس في الحال الاولى تربو على جاذبية الارض لوقوع القمر من جهتها فتنفرج المسافة بين الارض والقمر شيئاً وفي الحال الثانية يزيد جذب الشمس للارض على جذبها للقمر فتنفرج المسافة المذكورة ايضاً من الجانب الآخر . وكذا اذا وصل القمر الى احد التربيعين والمحور على هذا الوضع فان الشمس تجذب القمر الى الناحية التي تقرّبهُ من الارض فينشأ على الحالين استطالةٌ في شكل الهليلجي . وبخلاف ذلك ما اذا كان المحور الاطول موافقاً لخط التربيعين فان جاذبية الشمس تعمل على عكس ما ذُكر فيقلّ مقدار التباين كما يظهر بادنى تأمل

ثم ان فلك القمر مائلٌ على فلك الارض ومتوسط ميلهِ ٥ْ و٨َ و٤٧٫٩ً وهو يقطع دائرة البروج في نقطتين متقابلتين تسميان العقدتين احداهما

العقدة الصاعدة وهي التي يقطعها القمر في اجتيازهِ من جنوب دائرة البروج الى شمالها والاخرى العقدة النازلة وهي التي يقطعها في انتقالهِ من الشمال الى الجنوب وهاتان النقطتان تتحركان على الدوام من الشرق الى الغرب فتنتقلان ١٩° و ٣٥ في السنة وتعودان الى ما كانتا عليه بعد ١٨٫٦ سنة . وفي منتصف هذه المدة ينقلب وضع فلك القمر بالضرورة ويمرّ في اثنآئها على نقطةٍ نقطةٍ من منطقةٍ عرضها نحو ١٠° و١٨َ هي التي يرسمها ميل فلكهِ على جانبي دائرة البروج . وسبب هذا التقهقر ان الشمس تجذب القمر الى سطح دائرة البروج والارض تجذبهُ عنها فيجري في طريق مائل حتى يقطع العقدة قبل ان يتمّ دائرتهُ وذلك على نحو ما يكون من الارض فيما يسمى بمبادرة الاعتدالين . على ان مسافة الشمس من القمر تتفاوت بين شهرٍ وشهرٍ ولذلك تختلف سرعة التقهقر المذكور فلا يكون على وتيرةٍ واحدة

وقد قدّمنا ان القمر ينتقل في فلكهِ من الغرب الى الشرق الا ان سرعتهُ تتفاوت ايضاً بحسب موقعهِ من الارض وموقع الشمس منهُ فمتى كان في الاقتران اي متى كان بين الارض والشمس وتوجه الى التربيع الاول ابطأت حركتهُ لان الشمس تجذبهُ الى خلاف جهة مسيرهِ وكذا متى كان في الاستقبال وتوجه الى التربيع الثاني فانهُ يكون سابقاً للارض في فلكها فتقاومهُ جاذبيتها فيبطئ . وبعكس ذلك متى توجه من التربيع الاول الى الاستقبال ومن التربيع الثاني الى الاقتران فانهُ في الحال الاولى تكون الارض متقدمةً لهُ في فلكها وفي الحال الثانية يكون اقرب الى الشمس فتجذبهُ كلٌّ منهما

الى الجهة الموافقة لحركتهِ فيسرع . ومعدَّل المسافة التي يقطعها من فلكهِ في اليوم هي ١٣° و ١٠َ و ٠٢٧، ٣٥ً

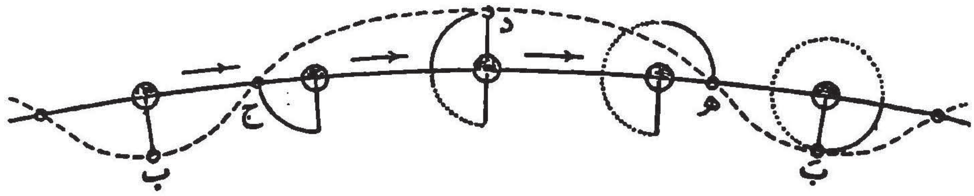
غير انهم بالمقابلة بين الرصود القديمة والرصود المتأخرة ظهر لهم ان مدة الشهر الاوسط للقمر آخذة في القصر عصراً بعد عصر وبعبارةٍ اخرى وجدوا ان القمر منذ اول رصدهِ الى اليوم قد ازدادت سرعتهُ اليومية ومعدَّل الزيادة فيها بين ١٠ و ١١ ثانية من الدرجة في كل مئة سنة وهي زيادة لا يُشعَر بها الا في الازمنة المتطاولة . وقد ذكروا في علة هذه السرعة انها ناشئةٌ عن سببين احدهما نقص التباين في فلك الارض والثاني تتابع المدّ والجزر عليها وكلا السببين موجبٌ لبطء حركتها وعليهِ فتكون هذه السرعة مرئيَّةً فقط وانما هي بالقياس الى حركة الارض دون حركة القمر في نفسهِ . على ان ما ذُكر من نقص التباين في فلك الارض سيبلغ حدَّهُ بعد نحو عشرين قرناً ثم يعود الى الازدياد فتتراجع سرعة القمر المذكورة على التدريج لكن يبقى تأثير المدّ والجزر وهو كافٍ لأن تبطئ بهِ حركة الارض شيئاً فشيئاً على توالي العصور وكذلك القمر لا بدّ ان يشاطرها هذا البطء لوقوع التجاذب من الطرفين ثم ينشأ عنهُ تباعد القمر عن الارض على ما هو مقتضى القاعدة الثالثة من قواعد كبلر وينتهي الامر اخيراً الى ان توجه الارض الى القمر صفحاً واحداً على حدّ ما هو القمر اليوم بالقياس الى الارض وحينئذٍ يدور الجرمان معاً كانهما قطعةٌ واحدة فيتمَّان دورتهما في مدة سبعين يوماً وتكون السنة كلها خمسة ايام فقط . كذا فيما قدَّرهُ داروين وقد حسب ان هذا لا يتمّ الا بعد اكثر من ٥٠ مليوناً من السنين

وهناك حركاتٌ اخر خفية توصلوا اليها بالاستقرآء والحساب بعضها متسببٌ عن اضطراب حركات الارض وبعضها عن جاذبية بعض السيارة مما يؤثر في الارض والقمر جميعاً ومن تلك الحركات ما ينتهي الى بعض ثوانٍ من الدرجة بحيث انهُ اذا روعيت بجملتها امكن تعيين موقع القمر في كل نقطةٍ من فلكهِ فلا يقع هناك من الوهم ما يزيد على ٣ ثوانٍ

ثم ان القمر مع دورانهِ حول الارض مرةً في الشهر يدور على نفسهِ في هذه المدة ايضاً دورةً واحدة تتم مع دورتهِ الشهرية في وقتٍ واحد . وذلك انهُ يوجه الى الارض دائماً صفحاً واحداً فبدورانهِ حولها يدور هذا الصفح ايضاً فيكون مثاهُ مثل انسانٍ يدور حول شجرةٍ ووجههُ دائماً الى الشجرة فانهُ اذا اتمّ دورتهُ حولها يكون قد دار حول نفسهِ ايضاً ولذلك يرى كل ما حول الشجرة . اما سبب اتحاد الدورتين فهو فيما ذكروا جذب الارض للقمر في الزمن الخالي وما كانت تحدثهُ في بحارهِ — ايام كانت لهُ بحار — من المدّ والجزر مما كان يعاوق دورانهُ على نفسهِ كما يحدث الامر عينهُ في حركة الارض بجذب القمر لما عليها من البحار فكان يبطئ في حركتهِ الشيء بعد الشيء الى ان تساوت دورتاهُ اليومية والشهرية ثم نضبت تلك البحار وبقيت حركتهُ بحالها

وبقي هنا ان القمر مع انهُ يدور حول الارض في الظاهر فان فلكهُ ليس بدائرةٍ متصلة ولكن لما كانت الارض دائرةً حول الشمس وهي تجذب القمر معها في مدة دورانهِ حولها لزم ان يذهب في طريقٍ تستطيل بهِ تلك الدائرة فلا يرجع آخرها على اولها بل لو رُسِمَت على سطح فلكهِ

لوُجِدت خارجةً عن شكل الدائرة اصلاً فكانت على نحو الرسم الذي تراهُ في هذا الشكل وقد رسمنا فيهِ قوساً من فلك الارض يجري فيها القمر مدة شهرٍ كامل من التوليد الى المحاق مع ما يتصل بهذين الطرفين الى التربيعين الذين يكتنفانهما لتتميم القوسين من كلٍّ من الطرفين . فمتى



كان القمر عند ب وهو اوان التوليد يجري على الخط المتقطع حتى يصير على محاذاة الارض عند ج وهو اوان التربيع الاول وفي هذه المسافة تكون الارض قد تقدمتهُ في فلكها الى ما وراءَ ج كما تراهُ في الرسم . ثم يتجه من هناك الى الاستقبال حتى يصير على محاذاة الارض عند د ثم يجري الى جهة التربيع الثاني فيقع امام الارض كما ترى عند ه ومن ثمَّ يجري الى المحاق فيعود الى مثل الموقع الذي انتقل منهُ اولاً كما تراهُ عند بَ ثم يستأنف شهراً آخر على مثل ما جرى عليهِ عند التوليد وهلمَّ جرًّا

وهذه الهيئة في فلك القمر هي ولا شك من اغرب ما يُتصوَّر في هيئات الافلاك الا ان ما ذكرناهُ انما هو بالقياس الى حركة القمر لناظرٍ اليهِ من الفضاء واما من الارض فانَّا نراهُ يرسم دائرةً متصلة لانهُ في اثناء مسيرهِ على الخط المتقطع تكون الارض في الوقت نفسهِ مشايعةً لهُ على خط فلكها فيمرُّ على نقطةٍ نقطةٍ منها ونراهُ بين التوليد والتربيع الاول قد مرَّ على قوس ٩٠ درجة هي المرسومة عند ج وهي ولا جرم القوس التي

يرسمها لو كانت الارض ثابتةً . وكذا حين يبلغ الى الاستقبال يكون قد مرّ على قوسٍ اخرى هي المرسومة امام د وهكذا الى ان يدرك المحاق فيتمّ دائرتهُ عند بَ كما تراها مرسومةً هناك

على أنَّا اذا اعتبرنا المسافة التي يقطعها القمر في كل شهر واضفنا اليها ضيق دائرة فلكهِ وجدنا ان الخط الذي يرسمهُ في حركتهِ حولها يستطيل اكثر من ذلك كثيراً حتى لا يبقى لهُ تحدُّبٌ الى جهة الشمس اصلاً بل يكون تقعيرهُ من كلا جانبي فلك الارض موجهاً الى الشمس . وذلك ان القمر يبعد عن الارض في المسافة المتوسطة ٢٤٠ الف ميل فقط والارض تقطع كل يوم في فلكها ما يزيد على الف الف و ٥٧٠ الف ميل فتقطع ما بين التربيع والتربيع وهما النقطتان اللتان يكون فيهما القمر والارض على بعدٍ



واحد من الشمس اثنين وعشرين الف الف و ٨٠٠ الف ميل ويقطع القمر معها مثل هذه المسافة في خط يكون بُعدهُ عن فلك الارض عند التربيع لا شيء ثم يخرج عن خط فلك الارض شيئاً فشيئاً حتى يبلغ البعد بينهما عند البدر او المحاق مسافة ٢٤٠ الف ميل وهي نحو $\frac{١}{٩٥}$ من الخط المذكور . وهذا القدر الضعيف لا يُخرِج الخط الذي يرسمهُ القمر بجانب فلك الارض سواءٌ كان من خارجهِ او من داخلهِ عن قوسٍ قريبة الشكل من القوس التي ترسمها الارض ويكون مقعَّر كلٍّ من القوسين الى جهة الشمس على نحو ما تراهُ في الشكل الثاني . وعلى ذلك فيكون القمر دائراً

حول الشمس في فلكٍ يشبه فلك الارض الا انهُ يكون تارةً امام الارض وتارةً وراءها وبينهما عند معظم انفراجهما البعد الذي ذكرناهُ

وهذا كلهُ مع اعتبار الشمس ثابتةً في مركزها ولكن اذا اعتبرنا ان الشمس سائرةٌ ايضاً وكانت في سرعة الارض فقط لزم ان تتضاعف مسافة فلك القمر حتى لا يعود بينهُ وبين فلك الارض فرقٌ يُشعَر بهِ فسبحان من وَسِعَت قدرتهُ الكائنات وهو بكل شيء محيط

واحة سيوة

الواحة واحدة الواحات وهي اراضٍ خصيبة في صحارٍ رملية واللفظة منقولة عن اللغة المصرية القديمة وقد وردت في كلام الادريسي وابن خلدون وغيرهما . والواحات كثيرة منها واحة ثيبة وكان اليونان يسمونها بجزيرة السعداء لكثرة خصبها وتُعرَف اليوم بالواحة الخارجة ومنها واحة أمُّون ويقال لها اليوم واحة سيوة وهي التي نحن في الكلام عليها ومنها الواحة الداخلة والواحة البحرية وغيرها وموقعها جميعاً الى غربيّ النيل . ولهذه الواحات شهرةٌ قديمة وفيها هياكل وآثار ثمينة وتجري في بعضها مياهٌ غزيرة وتكثر فيها الحدائق والغياض . واشهرها واحة سيوة وهي اكبرها واخصبها وقد جاء وصفها في كلام استرابون وديودورس الصقِلّي وبطلميوس واعظم ما اشتهرت بهِ الحملة التي وجهّها اليها كمبيز بقصد احراقها وتخريب هيكل امُّون فهلك جيشهُ بزوبعة هبّت عليهِ في الطريق واليونان والرومان فيها ابنية وقصور فخيمة لا تزال آثارها الى اليوم

وقد دخلت الواحات في حوزة العرب ايام الفتح الاسلامي فاستوطنوها وادخلوا اليها دين الاسلام ثم استقلّت بعد زوال دولة العرب الى ان افتتحها محمد علي باشا سنة ١٨٢٠ على يد حسن بك الشماشرجي مدير البحيرة ولا تزال الى اليوم تحت الحكم المصري

وقد عثرنا على رسالة لبعض الفضلآء ممن رحلوا الى تلك الناحية وصف فيها واحة سيوة وعوائد اهلها بما لم نرَ تفصيلهُ لكاتبٍ من قبل فاحببنا تلخيصها في هذا الموضع لغرابتها قال

قمت من الاسكندرية قاصداً سيوة في ٢٩ مايو سنة ١٨٩١ ومعي جمَّال واربعة جمال تحمل الزاد والمآء وسرت في طريق الضَرا وهي الطريق التي سار فيها اسكندر المكدوني عند زيارتهِ لواحة سيوة وبعد مسير عشرة ايام في القفر نزلت بقريةٍ صغيرة يقال لها امّ الصغيّر قائمة على تلة مرتفعة الى جانب الطريق وفيها عين مآء . وهي قريةٌ غريبة البنآء لم ارَ على مثالها في البلاد العامرة قطّ فترى الابنية فيها متراكبة كانها سلَّم وجدران منازلها المتطرفة متصلة بعضها ببعض فتحيط بالقرية كسُور وليس لها الا بابٌ واحد يدخلون منهُ فهي اشبه شيء بخليَّة النحل . وطرقها ضيّقة حرجة مظلمة يتيه فيها الغريب وعدد سكانها ١٥٠ نفساً قيل لا يزيدون ولا ينقصون فاذا وُلد لهم طفلٌ مات منهم واحد والسبب في ذلك على ما يروون انهُ اجتاز القرية فيما سلف من الزمن شيخٌ من الصلاّح فاهانهُ اهلها فلعنهم ودعا عليهم فصاروا الى تلك الحال

قال وبعد ان انخت في هذه القرية يومين سرت حتى اتيت جبل

نقب الغراب فاشرفت منهُ على واحة سيوة فاذا هي غوطةٌ فسيحة تكتنفها الجبال من الجهات الاربع وهي غائرةٌ في وسطها كأنها في جبٍّ عميق فانحدرنا اليها في مسالكٍ مستوعرٍ ولم ندركها الا بعد مسيرة يومين من نقب الغراب فدخلناها فوجدنا فيها البساتين والاشجار من النخيل والزيتون والرمان والعنب وغيرها مما يستغرب وجودهُ في قفر

وفي وسط الواحة سور قلعةٍ قديمة مستطيل الشكل علوّهُ اربعة امتار وعرضهُ نصف متر مبنيٌّ بالحجر والطين ولهُ اربعة ابواب يخترقهُ قناةٌ تجري فيها المياه من عينٍ يقال لها عين الخدَم . وفي داخل السور ابنيةٌ للحكومة وحوانيت للتجار تفتح في ايام المواسم وضريح يقال لهُ ضريح سيدي سليمان يتبرك الاهلون بزيارتهِ الا انهم لا يعلمون عنهُ شيئاً سوى انهُ وليّ

وبناء بيوتهم بالحجر الخام والطين وهم يبنون مقدار ذراع من البناء ويتركونهُ حتى يجفّ ثم يبنون مقدار ذراعٍ اخرى وهكذا الى ان يتمّ البناء وذلك على عادة اهل السودان ويسقفون البيوت بجذوع النخل ومنها يتخذون دَرَج السلالم ايضاً واكثر مساكنهم طبقتان الواحدة عُلوية لسكنى الرجل وامرأتهِ والاخرى سفلية لسكنى الاولاد وخزن المؤونة والاثاث

وسيوة بقعةٌ مسطحة منخفضة عن سطح البحر طولها نحو ستة اميال وعرضها خمسة تكتنفها الجبال الجرداء من الجهات الاربع وفي جبالها الشمالية طبقة من الملح الطبيعي تمتدّ مسافة ميل يتخذ الاهلون منها مؤونتهم من الملح لكل السنة في شهر ذي الحجة

اما هواء سيوة فرديءٌ وفيها فصلان الشتاء وهو من نوفمبر الى آخر

نبراير والصيف وهو باقي ايام السنة . والشتآء فيها باردٌ جدًّا كما ان الصيف حارٌّ لا يطاق وجوّها في الشتآء مظلم لا تنقشع عنهُ الغيوم مع ان المطر قليل بل نادر

وفي الصيف ينام الناس على السطوح لشدة الحرّ وتكثر فيهِ الحمّى وهي مستوطنة فيها واكثر ما تفتك بالغريب وهم لا يستعملون لها دوآءً وعندهم ان الدوآء يُغضِب الحمى فتنقلب الى مرضٍ قتّال فيتحمل المريض اذاها الى ان تزول من نفسها او تمكن منهُ فتقضي عليهِ

ومع هذا فاهل سيوة يعمَّرون ففيها شيخ يسمى سيحي يبلغ من العمر نحو ١١٠ سنين وهو يذكر ايام دخل الفرنسويون مصر تحت قيادة بونابرت ويقول انهُ كان في ذلك الحين فتىً

وسكان سيوة يبلغون نحو خمسة آلاف نسمة واكثرهم في حالة الفقر ودينهم الاسلام وهم فريقان الواحد ينتمي الى الطريقة السنوسية وزعيمها السيد محمد السنوسي الشهير والفريق الآخر ينتمي الى الطريقة المدنية وزعيمها السيد محمد المدني الظافر المقيم بالآستانة . وبين الفريقين منازعةٌ دائمة وخصامٌ مستمرّ وكلما تخاصما قام كل فريقٍ على الآخر بالسلاح والنبابيت فيعمد احد كبارهم الى القرآن الكريم فيعلّقهُ في عنقهِ ويدخل بين المتقاتلين مع بعض الاتباع وينادي « جاكم كتاب الله » فيكفّ الفريقان عن القتال ويقولون الفاتحة ثم يُرفع الامر الى المجلس الوطني فيقضي بين المتشاجرين بحسب العرف . وهذا المجلس مؤلف من العمد والمشايخ من الفريقين فاذا لم يتفقوا على امرٍ رفعوا القضية الى الحكومة . وترجع الواحة باحكامها الى

مديرية البحيرة من مديريات الوجه البحري وفيها من قِبَل الحكومة المصرية مأمور ووكيل مأمور وقاضٍ وبعض الكتّاب والعساكر ونفرٌ قليل من الخفرآء لحراستها

واهل سيوة اشبه الناس بالمغاربة في هيئاتهم وعوائدهم في الطعام والشراب واللباس الا ان لهم لغةً خاصة يتكلمون بها غير العربية واخلاقهم جافية قاسية وآدابهم فاسدة منحطّة واشهر صفاتهم البخل والخيانة والقذارة وهم جهلآء اغبيآء وقلّ منهم من يحسن القرآءة او الكتابة على ان عندهم مكاتب بسيطة لتعليم الصبيان تبلغ نحو العشرين وفي مصر نفرٌ غير قليل منهم يتعاطون الحِرَف الدنيئة

اما مآكلهم فحقيرة جدًّا فهم يأكلون القمح مخلوطاً بالذرة والشعير يخبزونهُ في التنور كما في صعيد مصر وقلما يذوقون اللحم لقلّته ويشربون القهوة والشاي بعد كل وجبة من الطعام وهم يدمنون الخمر يستخرجونها من العنب والرُطَب

وعندهم شمّ النسيم ويبتدئ في اول شهر بابا يخرج الناس الى الحقول واراضي النخيل فيقضون هناك خمسة عشر يوماً لا يأوون الى البيوت ولا يأكلون طعاماً الا ممزوجاً بالثوم لان الثوم في زعمهم يمنع ضرر التمر والعنب والبرتقان

وهم يبكرون في الزواج ولا يحتفل في اعراسهم الا النسآء فيرقصنَ في بيت الزوج ويتغنينَ بلغتهم والمرأة قبل دخولها الى بيت بعلها تذهب ليلاً بحفلتها فتزور ضريح سيدي سليمان السالف الذكر

والمآتم كالاعراس اكثر ما يكون اللغط فيها للنسآء ومن عوائدهم ان الارملة تُحبَس بعد وفاة زوجها في غرفةٍ مظلمة فلا يؤذن لها ان تخرج منها ولا ان ترى احداً الا الخادمة الموكلة بما تحتاج اليهِ من طعام وشراب حتى تنقضي ايام عدتها الشرعية (وهي اربعة اشهر قمرية وعشرة ايام) وفي هذه المدة تصير عينها شرّيرة في زعمهم فلا يقع نظرها على احد الا اصابهُ ضرر واول شخص تقع عينها عليهِ بعد خروجها من سجنها يكون تحت خطر الموت . فلاجل طرد هذا الشر من عينها تذهب في الليل وتستحمّ في عين طاموس بين أُغُرمي والسبوخة وهما ناحيتان بشرقي البلد وقبل خروجها يدور منادٍ بين البيوت يحذّر الناس من الخروج في طريقها في تلك الليلة وينادي « حاشاكم بلاكم ام علي طرزي جاكم » فينقطع الناس عن تلك الطريق الى الصباح وعند ذلك تخرج الارملة بين الناس وتعود الى مخالطتهم كالاول

وفي سيوة والتلال المجاورة لها آثار وكتابات قديمة كثيرة اهمها بقايا هيكل امّون الذي زارهُ الاسكندر وقد تهدّم الهيكل الآن فلم يبقَ منهُ قائماً سوى مدخلهِ وهو قنطرة كبيرة ويُعرَف هذا الهيكل عند الاهلين بكنيسة ام عُبَيدة . انتهى

الاعضآء الصناعية

توصل اهل الصنائع في اوربا الى ان يصنعوا عوض الاعضآء المفقودة اعضآءً من مواد مختلفة تستعمل عوض تلك ولو لإخفآء التشويه الذي

يحدث بسبب فقد بعض الاعضاء وقد قرأت نصلاً في هذا المعنى لبعض كتبة الافرنج فاحببت نقلهُ الى قرآء الضيآء وهذا تعريبهُ محصلاً

الظاهر ان اول ما صُنع من هذه الاعضآء هو الارجل لسهولة عملها وبساطة وظيفتها اذ لا يقصد منها الا حمل الجسد ونقلهُ . والارجل الصناعية قديمة جدًّا فقد ذكر الجرّاح برسي انهُ رأى في النقوش القديمة رسم جنود عائدين من الحرب وبين امتعتهم اجهزة من هذا النوع . قيل واول من وصف كيفية صنع الارجل في الاعصار المتأخرة هو امبرواز باراي المتوفى سنة ١٥٩٠ وكان يصنعها لهُ قين (برّاد) يقال لهُ پتي لورين وبعد ذلك اخذ اهل الصناعة يتفننون في صنعها ولكن لم يبلغوا اتقانها الا بعد زمانٍ طويل فان اول ما كان يصنع من الارجل كان شبيهاً بالمدقّات وكان استعمالها صعباً لقلة الاتقان في صناعتها . وقد بدأ التحسين فيها في اواخر القرن السابع عشر فكان بعضها شبيهاً بالمدقات الا انهُ محكم الصنعة وبعضها بهيئة الارجل الطبيعية ولها مفاصل تحركها قبضاً وبسطاً وفي ايامنا هذه ازدادت صنعة هذا النوع الاخير منها تكميلاً فصار استعمالها سهلاً في الغاية حتى ان فتاةً اتخذت رجلاً من صنع فرديناك مرتين استطاعت بها ان ترقص رقصاً حسناً وتستمرّ فيهِ وقتاً طويلاً . الا ان العيب الوحيد في هذه الاجهزة انها كثيرة التركيب وبالتالي كثيرة الثمن ومع ذلك فقد اكملوا صنعة الرجل الشبيهة بالمدقة بحيث صار يمكن ان تبتاع بثمن رخيص غير انهم ابدلوا هيئة طرف المدقة بهيئة قدم طبيعية

واما الايدي الصناعية فيقال انها اول ما صنعت في القرن السادس

عشر وتنسب الى امبرواز پاراي المقدم ذكرهُ وقيل هي اقدم من ذلك وكان الجهاز الذي وصف كيفية صنعهِ من الحديد المطروق وفي داخلهِ نوابض (زنبلكات) تحركهُ كحركة المفاصل الطبيعية فيتحرك بها المرفق (الكوع) والكف والاصابع وكان يصنعها پتي لورين المذكور الا ان هذه الايدي كانت ثقيلةً جدًّا بحيث كان استعمالها شاقاً . ومذ ذاك اخذ ارباب الصناعة يتفننون فيها ايضاً على وجوهٍ شتى الا انهم لم يصلوا فيها الى حدّ الكمال المطلوب . على انهُ لا يخفى ان استعمال هذه الايدي لا يكون الا نادراً لانهُ لارتفاع ثمنها لا يستطيع ان يقتنيها الا الاغنيآء وعلى كل حال فان صنعتها لم تتقرب الى الكمال الا منذ نحو ستين سنة . وقد صنع المسيو ماتيو سنة ١٨٦٠ يداً للمسيو روجَر احد اعضآء الندوة الموسيقية الملكية في باريز وكانت يدهُ قد اصيبت بآفةٍ في الصيد افضت الى قطعها فامكنهُ استعمال اليد الصناعية مكانها . وهذه الايدي تصنع تارةً من المرفق فتوصل بالعضد وتارةً من الكف فتوصل بالساعد وقد توصلوا في صنع الاكف الى تمام الاتقان حتى يمكن ان يُعمَل بها كل ما يُعمَل باليد الطبيعية

واما العيون الصناعية فالقصد منها اخفآء التشويه المسبَّب عن ذهاب العين ويظن ان جرّاحي المصريين واليونان والرومان كانوا يستعملونها على انها لم تصل الى كمال صنعتها الا منذ نحو اربعين سنة . وهي تصنع اليوم من قشرة من المينآء تشكَّل بشكل العين المفقودة ولونها حتى تماثل العين الباقية بالتمام ومتى وُضعت في مكانها تتصل في الداخل بالجزء الباقي من العين حتى تتحرك مع اختها على الهيئة الطبيعية

وقد توصلوا ايضاً الى صنع انوف يعملونها من الفضة ويلوّنونها بلون الجلد ولا يُعلم الزمن الذي ابتُدئ فيهِ بصنع هذه الانوف لكنهُ من المحقق انها لم تبلغ تمام الاتقان الا منذ خمسين سنة . وكانوا قبلاً يثبتونها في مكانها بواسطة نابض يعتمد على الجبهة ويُشَدّ الى قفا الرأس واما اليوم فيركبونها بين زجاجتي المنظار فيُستر بذلك جانب كبير من التشويه الذي كان يبقى مكشوفاً عند اصل الانف مع استعمال الجهاز القديم . وهذه الطريقة افضل من طريقة الجرّاحين التي تقوم بأخذ قسم من جلد سائر البدن وتطعيمهِ في مكان الانف فان هذه الطريقة ليست في استطاعة كل احد فضلاً عما فيها من المشقة والالم وما يمكن ان يكون فيها من خطر الالتهاب

فريد البرباري

مُتَفَرِّقَات

درجة الحرارة في اعالي الجوّ — عُني بعض علماء المانيا باختبار درجة الحرارة في الطبقات العليا من الجوّ فركب منطاداً ارتفع فيهِ الى مسافة ١٦٣٢٥ متراً وكانت الحرارة عند ركوبهِ المنطاد على ١٧° من المقياس المِئَويّ (السنتغراد) فلما بلغ هذا الارتفاع هبطت الى ٥٢° تحت الصفر . ثم صعد مرةً اخرى فبلغ ١٨٥٠٠ متر وبلغت الحرارة ٦٧° تحت الصفر (كذا فيما نقلنا عنهُ ولعل الصواب في المسافة التي ارتفعها ٦٣٢٥ متراً و٨٥٠٠ متراً

اي بترك رقم الواحد عن الشمال في الموضعين فيكون معدَّل نقص الحرارة درجة في كل ١٧٥ متراً وهو قريبٌ من المعدل المألوف)

شَرَه العنكبوت — ذكر السير جون لبوك وهو ممن يزاول الامتحانات الغريبة لاختبار طبائع الحيوان انهُ وزن عدّة عناكب قبل الطعام وبعدهُ فوجد ان ما ظهر لهُ من الفرق في وزنها لو كان في انسان للزم حتى يبلغ هذه الزيادة في وزنهِ ان ياكل ثورين كاملين و١٣ خروفاً و ١٢ خنزيراً و ٤ براميل من السمك وكل هذا في ٢٤ ساعة

ميزان جوّي — ذكر بعض المجرّبين ان القهوة اصدق دليل على حالة الجوّ قال اذا سكبت لك القهوة ووضعتَ فيها السكّر فانتظر هنيهةً قبل ان تحركها وانظر الى الزَبَد الذي يطفو على وجهها فاذا ظهر في الوسط وبعد بضع دقائق اخذ ينتشر ببطء الى الجوانب فالوقت وقت صحو واذا ظهر منحرفاً عن الوسط ثم تفرق سريعاً وانحاز الى جانبٍ واحد فهو دليل التقلُّب واذا ظهر في الوسط وتخللهُ فقاقيع صغيرة متفرقة تحرك بسرعةٍ الى جهة المحيط فهي علامة قرب المطر

اسئلة واجوبتها

القاهرة — تفضلتم باجابتي عمّا تطفلت بهِ عليكم من الاسئلة التي عرضت لي في اثنآء تدريسي للكتاب المسمى بدروس البلاغة فجآء الجواب

شافياً وافياً معزَّزاً بالشواهد المحكمة والبيّنات الملزِمة ولما كان هذا الكتاب كغيرهِ من تلك المؤلفات مشحوناً بمواضع الشبهات والمعمَّيات ولا يسع كل واحدٍ من اساتذة المدارس ان يبحث عن كل مسئلةٍ فيهِ للوصول الى تحقيقها بنفسهِ جئتكم هذه المرّة بمسائل اخرى راجياً التفضل بكشف معضلها ولكم عليَّ وعلى سائر رصفائي من مدرّسي العربية في هذه الديار شكر المعترف بتطولكم وجميلكم بل لا جرم ان هذه تكون لكم خدمةً عامةً لكل مدارس القطر تعرف لكم قدرها وتجزيكم شكرها . وهذه اسئلتي المشار اليها

قال مصنفو الكتاب في صفحة ٦ ما نصهُ « البلاغة في اللغة الوصول والانتهآء يقال بلغ فلانٌ مرادهُ اذا وصل اليهِ وبلغ الركب المدينة اذا انتهى اليها » اه . ومفهوم هذا القول بل صريحهُ ان البلاغة وبلغ فلانٌ مرادهُ وبلغ المدينة كل ذلك من وادٍ واحد لانهم فسروا البلاغة بالوصول والانتهآء ومثلوا عليها بالفعلين المذكورين وهما بالمعنى نفسهِ . وعليهِ فلا مانع « في اللغة » ان تقول فاز فلانٌ ببلاغة مرادهِ وكان ذلك عند بلاغتي المدينة اي ببلوغ مرادهِ وعند بلوغي المدينة فهل نُقل استعمال البلاغة بهذا المعنى

وقالوا في صفحة ٨ في الكلام على الجملة الاسمية انها « موضوعة لمجرَّد ثبوت المسند للمسند اليهِ نحو الشمس مضيئةٌ وقد تفيد الاستمرار بالقرائن اذا لم يكن في خبرها فعل نحو العلم نافع » اه . فلم يظهر لي الفرق بين « الشمس مضيئة » و « العلم نافع » ولا اين القرينة في المثال الثاني على

ارادة الاستمرار بل الذي ظهر لي أن كليهما يفيد ثبوت المسند للمسند اليهِ على السوآء الا اذا كان هناك سرٌّ لم ادركهُ فتفضلوا بايضاحهِ

وذكروا بعد ذلك فائدة الخبر ولازم فائدتهِ وعرَّفوا اللازم بانهُ ما يُلقى «لافادة ان المتكلم عالمٌ بهِ (اي بالحكم) نحو انت حضرت امس». ثم قالوا «وقد يُلقى الخبر لافادة اغراضٍ اخرى كالاسترحام في قول موسى عليهِ السلام ربِّ اني لِما انزلت اليَّ من خيرٍ لفقير. واظهار الضعف في قول زكريا عليهِ السلام ربِّ اني وهن العظم مني» الى آخر ما سردوهُ لكن لم يوضحوا لنا هذه الاغراض أمن فائدة الخبر هي ام من لازم فائدتهِ ام هي قسمٌ ثالث وهذا الاخير هو الاظهر بمقتضى صنيعهم فما قولكم في ذلك

ثم ذكروا أَضرُب الخبر فقالوا «ان كان المخاطب خالي الذهن من الحكم أُلقيَ اليهِ الخبر مجرّداً عن التاكيد نحو اخوك قادمٌ وان كان متردداً فيهِ طالباً لمعرفتهِ حَسُنَ توكيدهُ نحو انَّ اخاك قادمٌ» اهـ. فقولهم «طالباً لمعرفتهِ» مقتضاهُ ان التوكيد يساق لمعرفة الحكم فاذا قلنا اخوك قادمٌ لم يفهم منهُ الحكم بقدوم الاخ حتى نوكدهُ ونقول ان اخاك قادمٌ فكيف ذلك

(*)

الجواب — اما البلاغة فمعناها «في اللغة» ما ذكرهُ صاحب الصحاح قال «والبلاغة الفصاحة وبلُغَ الرجل بالضمّ صار بليغاً» وزاد في لسان العرب قال «ورجلٌ بليغ .. حسن الكلام فصيحهُ يبلغ بعبارة لسانهِ كنه ما في قلبهِ» اهـ. فاوماً بهذا الى اصل المعنى في هذه المادّة وان البليغ انما سمي بليغاً لانهُ يبلغ بعبارتهِ كنه ضميرهِ كما هي عبارة القاموس ايضاً ولم

نجد من فسّر البلاغة بالوصول والانتهآء ولكن الظاهر ان الذي غرّ مصنفي الكتاب ما جآء في المثل السائر قال « واما البلاغة فان اصلها في وضع اللغة الوصول والانتهآء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليهِ » قال « وسمي الكلام بليغاً من ذلك اي انهُ قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية » اه . فجعل « الوصول والانتهآء » اصل المعنى الوضعي لامعنى اللفظة بعينها كما هو ظاهر

واما افادة الاستمرار في قولنا العلم نافعٌ فما خفي علينا وجههُ كما خفي علينا الفرق بينهُ وبين قولنا الشمس مضيئة ولو مثلوا لافادة الاستمرار بنحو والله غالبٌ على امرهِ لكان اظهر . وبقي هنا قولهم « اذا لم يكن في خبرها فعلٌ » اي فانها حينئذٍ تدل على الحدوث في زمن مخصوص او على التجدد كما هو مدلول الفعل لكن يقال هنا ان الخبر الفعليّ لا يكون الا جملةً وحينئذٍ يكون معنى الحدوث او التجدد من مفاد الجملة الفعلية لا الاسمية كما ان الثبوت فيما ليس خبرها فعلاً يستفاد من الاسم الذي هو الخبر فكان المدار في الحالين على المسند دون الجملة . والذي يظهر لنا هنا انهُ اختلط عليهم الخبر البياني الذي هو خلاف الانشآء بالخبر النحوي الذي يُخبَر بهِ عن المبتدا وحينئذٍ فالذي يصح ان يقال في هذا المقام ان خبر المبتدا اذا كان فعلاً افاد الحدوث او التجدد وان كان اسماً افاد الثبوت . لكن يبقى ان تقييد المسند بكونهِ خبراً عن المبتدأ مجحفٌ بالقاعدة التي يُقصَد تقريرها في هذا الموضع لان الكلام في الخبر البياني لا في الخبر النحوي . وذلك ان قولنا زيدٌ قام وقام زيدٌ كلاهما يفيد الحدوث مع الزمان حالة كون الفعل في المثال الثاني ليس بخبر عن زيد وكذلك قولنا زيدٌ

قائمٌ وما قائمٌ الزيدان كلاهما يفيد الثبوت مع ان الوصف في المثال الثاني ليس بخبرٍ عن الزيدان . على ان تخصيص هذه الاحكام بباب الخبر لا وجه لهُ لانها تتناول كلاً من الخبر والانشآء وعليهِ فقد كان ينبغي ان يُجعَل هذا الكلام في احكام المسند لا في احكام الخبر وهو ما فعلهُ صاحب التلخيص وغيرهُ كما تراهُ في مصنفاتهم

واما الاغراض الاخرى التي يُلقى الخبر لافادتها كالاسترحام واظهار الضعف وغيرهما فقد عدّها صاحب المطوّل قسماً ثالثاً لا يراد بهِ فائدة الخبر ولا لازمها . لكن الظاهر انهُ لا يمتنع الحاقها بلازم فائدة الخبر لان الذهن ينتقل اليها بعد العلم بان فائدة الخبر غير مقصودة كما ينتقل اليهِ . وذلك ان قولك للمخاطب انت حضرت امس مفاد صيغتهِ انك تخبرهُ بانهُ قد حضر لكنهُ لما كان عالماً بذلك واخبارهُ بما هو عالمٌ بهِ لغوٌ انصرف الذهن الى ان المراد اعلامهُ بان المتكلم ايضاً عالمٌ بهِ . وكذا قول موسى ربِّ اني لما انزلت اليَّ الآية ليس المقصود منهُ اخبار الله جل جلالهُ بفقرهِ الى ما انزل اليهِ لانهُ تعالى اعلم بذلك فينصرف الذهن الى ما يلزم هذا القول وهو قصد الاسترحام . ومثلهُ قول زكريا ربِّ اني وهن العظم مني فانهُ لما لم يكن المقصود بهذا الكلام الاخبار بمضمونهِ انصرف الذهن الى لازمهِ وهو اظهار الضعف وقس على ذلك سائر ما يُذكر هنا من الاغراض

واما جعلهم المخاطب في الضرب الثاني من الخبر طالباً لمعرفة الحكم مع ان الحكم يُعرَف بمجرَّد الاخبار لا بالتوكيد فالظاهر انهم ذكروا هذا توطئةً لما سيجيء بعد من قولهم « ويسمى الضرب الاول ابتدآئياً والثاني

طلبياً » الخ لكن ليس ما ذكروهُ هو الوجه في تسميتهِ بالطلبي وانما الوجه فيهِ هو أن المخاطب كانهُ طالبٌ لتقوية الحكم فيقوَّى بالمؤكّد وهو ما يستفاد من عبارة التلخيص وان التبست على بعض المتأخرين ممن ألفوا في هذا الفن . هذا ما حضرنا في الجواب على هذه الاسئلة والله سبحانهُ وتعالى اعلم بالصواب وهو وليّ الهداية

آثار ادبيّة

رواية شقآء الامهات — ما زالت حضرة الاديبة الفاضلة السيدة الكسندرا أفيرينوه صاحبة مجلة انيس الجليس تتحفنا المرّة بعد المرّة بما يزيدنا من الشواهد على فضلها واقدامها ومثابرتها على الدأب في سبيل الشهرة بين ارباب المقامات الادبية فقد اطرفتنا اخيراً بهذه الرواية البديعة معرَّبة عن الفرنسوية بلفظها الانيق وانشآئها الفائق فجاءت من ابدع ما عُرّب من هذا النوع لما التزمت فيها من المنهاج العربي الصحيح على ما هناك من فصاحة الالفاظ وانسجام التراكيب ورشاقة الاساليب . فنثني على حضرتها اطيب الثناء ونرجو ان يكون هذا السبيل الذي انتهجتهُ بعلوّ همتها وفضل ذكآئها قدوةً لرصيفاتها من ربات الاقلام ونرجو لجميع ما تخطهُ بتلك اليمين اللطيفة ان ينال ما يستحقهُ من الايثار والاقبال

والرواية حسنة الطبع جيدة الورق تبلغ نحواً من ١٨٠ صفحة وثمنها عشرة غروش مصرية

فكاهات

رواية

عين الفقيد(١)

تأتي السعادة احياناً من طريقٍ لا يهتدي اليها انسان ولم تخطر لمخلوقٍ ببال كما يتبين من القصة التالية

روي انهُ كان في باريز مصوّرٌ يدعى جان قد أُوتي وهو في الثلاثين من عمرهِ مهارةً غريبة في تصوير المناظر الطبيعيَّة ولكنهُ كان قليل البخت فلم ينل لدى طلاَّب الصوَر شهرة تعدل حذاقتهُ ولم يكافأ في المعارض بجائزة يوسع بها نطاق عملهِ ولا بوسامٍ ينوّه بقدرهِ ويتيح لهُ مسابقة النظرآء والانداد فصغَّر الفشل نفسهُ وخيَّب النحس أملهُ فهجر المعارض وادمن العمل تاركاً لذّات الحياة معرضاً عن معاشرة الاخوان والخلاّن كأنهُ أحد النسَّاك او الرهبان . وكان حانوتهُ في الطبقة الرابعة من بنآء فخيم يسكنهُ جماعةٌ من اهل اليسار لا يعرفونهُ لقلة خروجهِ من محلهِ ولا هو يعرفهم اذ لا علاقة لهُ معهم فكأنهُ طائرٌ لهُ عشٌّ منفرد في احدى زوايا سطوحهم . وكان يجد في كثرة الشغل عزآءً وسلواناً ومنجاةً من اليأس والقنوط شأن كلّ شهمٍ أبيّ النفس تترفع بهِ نفسهُ عن التدليس والمصانعة وتكره التذلُّل لادنيآء النفوس

---

(١) معربة عن الفرنسوية بقلم خليل افندي الجاويش احد منشئي جريدة الاهرام

وفي ذات يومٍ بينما كان جالساً لدى احدى صوَرِهِ وهو حزينٌ كاسف البال طرق بابهُ طارق واذا بالداخل كاتب حسابات المحلّ الذي يبتاع منهُ ألوان التصوير فحسب عند ما رآهُ انهُ آتٍ لاستيفاء حساب سيدهِ فقطب وجههُ ولكن الكاتب دنا منهُ وقال انني أريد منك حاجةً صغيرة ان قضيتها لي صيرتني شاكراً فضلك مدى حياتي لكنني أرجو منك أن لا تهزأ بي ولا تستخف بطلبي . وذلك أنَّ في البيت المقابل لنافذة محلك هذا فتاة حسناء في مقتبل الشباب هي خادمة صاحبة المنزل قد شغفت بحبها حتى كاد عقلي يضيع ورشدي يطير وأريد ان اكتب اليها ابوح لها بسرّ غرامي ولكنني لا اعرف كيف اخطّ رسالةً في هذا المعنى الدقيق تجتذب فؤادها وتميلها نحوي فترحم شبابي وتخفف عذابي . وقد فتشت في الكتاب المسمى « امين اسرار العشاق » عن رسالةٍ ملائمة لحالي فلم أجد وخشيت ان انقل لها رسالةً لا تقدر على فهم معانيها فجئتك راجياً ان تكتب عن لساني رسالةً افهمها بها قصدي واطلعها على حقيقة امري

فقال المصوّر انها لخدمة خفيفة هينة وتناول محفظة الورق واختار منها ورقة لطيفة وغلافاً ناصعاً وجلس الى مائدةٍ صغيرة وعرك جبينهُ ثم كتب الرسالة على ما حضرهُ ودفعها الى الفتى وقد كتب فيها ما يأتي

« ايها الملك الكريم

كيف ارى مثل جمالكِ الفتان ولا أهيم بهِ وجداً وكلفاً وكيف اذوب جوًى وغراماً ولا استميح رقة فؤادكِ ان تعطفي على سقمي ولو بنظرة حبٍّ من عينيكِ الفاتنتين تحيي فؤادي وتنفي سهادي . انني لا اقدر ان

اصف لكِ مقدار ما اقاسي فيكِ من الوجد والهيام وقد غالبت الشوق اشهراً طوالاً حتى اعياني كتمانهُ فجئت ابوح لكِ بما يكنهُ ضميري والله يعلم ان حبي لكِ حبٌّ طاهر وليس لي من امنيةٍ الا ان تشاطريني هذا الحب ثم ان اشاطركِ حظي من حياتي بل ان اجعل حياتي كلها وقفاً على مسرّتكِ ورضاكِ وها انني اضع قلبي بين يديكِ وانتِ مخيرة بين ان تنبذيهِ وتتركيهِ يحترق بنارهِ وبين ان ترحميهِ وتطفئي لهيب اوارهِ وحاشا لكِ الاّ ان تقابلي هذا الحب بمثلهِ والسلام »

فتناول الفتى الرسالة شاكراً وهرول بها مسرعاً الى بيت حبيبتهِ ووقف المصوّر ينظر اليهِ من النافذة فرآهُ يكلّم البواب ثمَّ ألقى في كفهِ قطعةً من الذهب وبعد ذلك قرع الباب فأَتت الفتاة تترنح في مشيها ترنح السكرى فحيَّتها هنيهةً وسلمها الرسالة فتناولتها وقد صبغ الحيآء وجنتيها واقفل الباب وانصرف طائراً فرحاً. واسرعت الفتاة الى غرفتها ففضَّت الكتاب وقرأتهُ اولاً وثانياً وثالثاً وبعد ربع ساعة نزلت الى ردهة الاستقبال وبيدها مكنسة وشرعت تكنس بسرعة مخافة ان تعود سيدتها فتراها متأخرة في عملها فاصاب طرف المكنسة صورة زوج السيدة وفقأ عينها فحلَّ محلها خرقٌ قبيح شوَّه الصورة كلها ولا بدع فالعين زينة الوجه ونافذة النفس في الجسم. فايقنت الفتاة ان مولاتها ستطردها لا محالة حينما ترى صورة فقيدها على هذه الحالة ولا سيما وانها فقدتهُ منذ عهدٍ قريب وكانت كل يوم تقضي ساعاتٍ امام صورتهِ وهي تتذكرهُ وتبكي فحزنت الفتاة لذلك حزناً شديداً

وساقطت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت ... ورداً وعضَّت على العناب بالبردِ

وبعد ان فكرت في الامر حيناً نزلت الى فنآء الدار وتناولت حجراً وصعدت فالقتهُ في ارض الغرفة لتوهم مولاتها ان الجيران رموا بالحجر فاصاب عين الصورة وقلعها ولكنها فطنت الى ان هذه الحيلة لا تجوز على عاقل ولا سيما وانهُ ليس عند الجيران اولاد صغار فعمدت الى حيلةٍ ألطف وذلك انها أخرجت من صدرها رسالة حبيبها وجعلتها غلافاً للحجر ووضعت هذه الصرة عند اسفل الصورة وعادت مطمئنة البال موقنةً بان سيدتها ستحسب الرسالة مطيرة اليها على هذه الهيئة بلا غلاف ولا توقيع ثم اقفلت الغرفة وذهبت تكمل عملها في الغرف الاخرى . ولما عادت مولاتها ويقال لها مادام دارساي مرَّت في الردهة وهي ذاهبة الى غرفتها وسنحت منها التفاتة نحو الصورة فعند ما رأتها مشوهة ذلك التشويه وقفت لديها حزينة وقد اخذ منها الغيظ كل مأخذ ثم التفتت الى البساط فرأت الحجر الملفوف بالورقة فتناولتهُ وقرأت الرسالة فزاد غضبها وصاحت من ذا الذي يتجرأ على مخاطبتي بمثل هذه اللغة . ثم اعادت قرآءة الرسالة نخفَّ ميزان غضبها ووجد الحنوّ سبيلاً الى قلبها فراحت تفكر في معرفة صاحب الكتاب وظنَّت لأول وهلة انهُ أحد جيرانها فاستدعت خادمتها وسألتها عن الامر فتظاهرت بالدهش والاستغراب واخذت تأسف معها على الصورة فسألتها عن الناس الذين يسكنون تجاه المنزل فسردت لها اسمآءهم حتى انتهت الى ذكر المصوّر فقالت السيدة أظن ان هذا الفتى هو الذي اتى هذه الفعلة . ثم صرفت الخادمة وسارت الى غرفتها واستلقت على كرسي طويل وهي تنظر تارةً الى المرآة التي امامها وتارةً الى الرسالة كأنها تقول في نفسها لا جرم ان جمالاً

كهذا يحمل الفتيان على مخاطبتي بمثل تلك العبارات الحبية الرشيقة

وكان عمر هذه الارملة اثنتين وعشرين سنة اسيء كانت في شرخ شبابها ومنتهى نضارتها وكانت قد أرملت منذ سنة بعد ان تزوجت ببضعة اشهر فاخذ الحزن من فؤادها كل مأخذ وامست تنظر الى المستقبل من ورآء غيوم الغموم وتعتقد ان حياتها اصبحت ممزوجة بسموم الهموم ولكن النسيان يطير بالاحزان على جناح الزمان فلا تلبث عواطف النفس عند اول حادث جديد ان تفيق من سباتها ولا يلبث القلب ان يجدد عهد رغائبهِ الماضي وزمان آمالهِ الخالي وهكذا كان حال مادام دارساي حينما وافتها الرسالة على غير انتظار ولا حسبان فانها كانت ذابلة الجفون كثيرة التنهد تضحك وتبكي في ساعة وتغضب وترضى في لحظة وكانت قد عدلت عن الاختلاط بالناس بعد إرمالها ومالت الى الشعر والموسيقى والتصوير وما اشبه ذلك من الملاهي العقلية فلذا عند ما اطلعت على الرسالة استدلت من حسن انشآئها وكتابتها على أن صاحبها فتىً اديب اريب رقيق العواطف شعريُّ التصوُّر سامي المدارك وكانت قد تلت الرسالة لعاشر مرَّة وغضبها قد زال تماماً وحلَّ محلهُ ميل شديد الى معرفة صاحبها وشعرت ان نفسها آخت نفسهُ وعواطفها انطبقت على عواطفهِ ولكنها لم تكن تستطيع ان تجيب على رسالتهِ فارتأت ان تحقق اولاً هل المصوّر جارها هو كاتبها ثم تسعى الى استكشاف ضميرهِ والاطلاع على سريرتهِ ووجدت ان اقرب وسيلة الى ذلك هي ان تدعوهُ الى اصلاح الصورة التي كان هو سبب تشويهها ولكن دون ارادتهِ . فكتبت اليهِ رسالة في هذا المعنى ودفعتها الى الخادمة

فانطلقت بها الى حانوت المصوّر فلما قرأها اخذ ورقة كالورقة التي خط عليها الرسالة الغرامية واجاب بانهُ يتأسف لكونهِ لا يستطيع ان يجيب دعوة السيدة لأنهُ مصوّر مناظر لا مصوّر اشخاص وسلم الرسالة الى الخادمة · فلما اطلعت عليها سيدتها ورأت ان ورقها وخطها مثل الرسالة الأُولى تماماً حارت في الامر حيرةً شديدة وتعجبت كيف ان فتىً يقدم على مخاطبتها بتلك الصفة التي تدلّ على نهاية الجسارة والوقاحة ثم يحجم عن مواجهتها ويتعلل بعذرٍ فارغ عند ما تطلب مواجهتهُ

ومضت ايام بعد ذلك وخاطر السيدة مشتغل بالمصوّر ليلاً ونهاراً وقد علمت من ربة منزلهِ بواسطة الخادمة انهُ شابٌّ حسن السيرة دمث الاخلاق وانهُ يتغيب احياناً ثم يعود وثيابهُ مكسوّة بالغبار ووجههُ ملوّح بحرارة الشمس وتحت ابطيهِ ازهار متنوعة وانهُ يحب المطالعة وعندهُ مكتبة حافلة بالكتب ومعيشتهُ تدل على رقة حالهِ وقلة مكسبهِ · فزادتها هذه الاخبار عنهُ اهتماماً بامرهِ وميلاً الى معرفة كل احوالهِ فسارت الى أحد تجار الصوَر وسألتهُ ان يريها صورة من صنع المصوّر جان وقالت لهُ انني أقدر صناعة هذا الشاب حق قدرها وأريد الحصول على صورة من عمل يدهِ · فقال التاجر ذلك امرٌ سهل على شرط ان تدفعي لي ٥٠٠ فرنك فدفعت لهُ الفاً واوصتهُ ان ينتقي لها صورة على حسب ذوقهِ · ثم قالت لهُ اني اسافر كل سنة الى ليشون وهنالك مناظر بديعة تشوق الشاعر والمصوّر فما رأيك في كتاب عنها يؤلفهُ احد كبار الكتاب ويزينهُ جان برسومهِ وانا أقوم بنفقاتهِ تحت اسمك · فاجاب فكر جليل وعمل بديع وانا اتكفل

به وابذل جهدي في سبيلهِ . فطلبت ورقة وكتبت عليها تحويلاً بستة آلاف فرنك ودفعتها الى التاجر وقالت لهُ خذ هذا التحويل واعتبرهُ حساباً جارياً بيننا فادفع لهُ نصف الاجرة وعدهُ بالنصف الآخر بعد اتمام العمل وانصرفت والتاجر يتعجب من سخآئها ويقول لله ما يفعل العشق في قلوب الحسان. ثم ركب عربةً وسار الى محلّ المصوّر وابتاع منهُ صورة بالف فرنك دفعها اليهِ نقداً فاحمرَّ وجههُ الاصفر كأَن مآءَ الحياة عاودهُ او دم الرجآء سرى في عروقهِ . ثم ذاكرهُ في امر الكتاب المصوَّر ودفع لهُ من قيمة عمله مقدماً خمسة آلاف فرنك واوعز اليهِ بالسفر حالاً الى محلّ المناظر التي ينبغي ان يصوّرها لتزيين الكتاب وقفل راجعاً الى حانوتهِ وجان يتأمل في الاوراق المالية وهو يظن نفسهُ في حلمٍ لا في يقظةٍ . ثم طفح السرور عليهِ فطفق يبكي كولدٍ صغير حتى اذا ذهبت سكرة الفرح ضمّ الاوراق وسار ليتنزه في غاب بولونيا وهو يتغنى في الطريق كالبابل الولهان وفي تلك الليلة ذهب لحضور التمثيل في الاوپرا وهي اول مرةٍ فعل ذلك في حياتهِ . وكان قد التقى في اثنآء نزهتهِ بجارتهِ وخادمتها وحياها من بعيد فأَثرت هذه المواجهة في نفسهِ وأوجدت فيهِ عاطفة نحو السيدة لم يكن يجدها قبلاً حتى انهُ نام وفكرهُ لاهٍ بها وصورتها تتخلل منامهُ . ولما اصبح ذهب الى تاجر الصوَر واخبرهُ بانهُ مسافر الى ليشون ثم عاد فجهز نفسهُ بما يحتاج اليهِ وفي المسآء حمل حقيبتهُ وسافر وكان في اثنآء سفرهِ يصوّر ما يشاهدهُ من المناظر الطبيعية البهيجة حتى بلغ مكاناً يشرف على وادٍ فسيح وسهلٍ في آخرهِ شلاّل مآء فنزل بفندق رجلٍ اشتهر بصيد

الدب حتى جعله صيادو هذا الوحش شيخهم وزعيمهم

وفي ذات يوم ذاع بين اهل تلك الناحية ان دُبَّةً تسطو على المراعي وتفترس الغنم فلا يقدر راعٍ على مقاومتها ولا صيادٌ على قتلها فجمع شيخ الجهة طائفة الصيادين واوعز اليهم بان يتألبوا على قتلها وكان بينهم صاحب الفندق فدعا جان الى مرافقته وذهبت الجماعة في فجر النهار حتى وصلت الى مقرّ الدبة . وكان هنالك عين مآء لطيفة رأى جان عندها امرأة ذات قامة رشيقة ومعها دليل فخفق قلبهُ حين رؤيتها وظنها سائحةً انكليزية . ثم شرع الصيادون يتسلقون الروابي وهم سكوت حتى اذا بلغوا الطريق تفرقوا في كل جهة مثنى وثلاث ورباع والمرأة تتبعهم مسرعةً خطاها وعلى وجهها نقاب ادكن اللون وبيدها مخصرة لطيفة الشكل حتى وقفت على مسافة عشرين خطوة من المصور . وانهم لكذلك اذ صاح صاحب الفندق خذوا حذركم وأحكموا رميكم فاستندت المرأة الى صخر وحشا جان بندقيتهُ وبعد قليل اطلق الفندقيُّ عيارهُ وتلاهُ صراخ امرأة فالتفت المصور مذعوراً فرأى الدبة قد دنت من السائحة والدليل يهوّل عليها بهراوتهِ وكان احد جرآئها قد قتل بذلك العيار فهاجت وهجمت هجوماً مخيفاً فذُعرت المرأة وسقط نقابها عن وجهها فتفرس فيها المصوّر واذا هو يرى وجه مادام دارساي وقد علاهُ اصفرار الرعب والذعر . فتعجب من وجودها في ذلك المكان ثم صوَّب بندقيتهُ واطلقها على الدبة وهي تحاول ان تفترس الدليل وتمزقهُ فاصابت الرصاصة قلبها فوقعت مضرجةً بدمآئها . فصاح الصياد لا شلَّت يمينك يا جان ثم صاح بالدليل تقدم واسقِ هذا البطل جرعةً من

الشراب الذي معك فهرع نحوهُ وقدم اليهِ زجاجتهُ فشرب منها جرعةً كبيرة من الروم فانتعشت نفسهُ وعادت اليهِ عزيمتهُ وهرول الى ناحية السيدة وكانت قد عادت الى رشدها فالقت عليهِ نظرةً ارتجّت لها جوارحهُ وملأت بسحرها جوانحهُ فاستعلم بلطفٍ عن حالها وقدم اليها ذراعهُ بحركة كلها ظرف وكياسة فلم يسعها ان ترفض مرافقتهُ وسارت واياهُ وهي تشكرهُ على صنيعهِ وتثني على بسالتهِ واقدامهِ وهو يشعر بقلبها يخفق تحت ابطهِ كانهُ مجرًى كهربآئي متصل بينهُ وبينها . ثم احاط بهما الصيادون واهل ذاك الجوار وصنعوا مأدبةً فاخرة اجلسوا جان في صدرها وجلس عن يمينهِ صاحب الفندق وعن يساره دليل السيدة وهذه جلست ازآءهُ . وسار بعض الناس يحملون الخبر الى ليشون فهيأ اهلها مركبةً زينوها باغصان الشجر وساروا بها الى مكان الاحتفال فاركبوا المصوّر فيها مع صاحب الفندق ومادام دارساي وانطلق الموكب على هذه الصورة حتى اذا بلغ نصف الطريق تلقاهُ شيخ البلدة ومعاونهُ وجماعة من الاهلين ووضعوا جُثّة الدبة وجرْوها على مركبة وساروا تتقدمهم الموسيقى ورجال الشحنة وسكان تلك الناحية ودخلوا البلدة بين اصوات الهتاف واطلاق البنادق والناس كلهم مطوّقون جان بابصارهم كأن عليهِ من حدقٍ نطاقاً . اما هو فكان همهُ الاول حين وصولهِ ان يصحب حبيبتهُ الى مقرّها فاعتذرت اليهِ واخبرتهُ بانها راجعة في مسآء ذلك النهار الى باريز حيث تسرّ بان تراهُ في منزلها لتجدد لهُ عبارات شكرها . فحياها وسار الى فندقهِ وهو لا يعلم انها قضت ثلاثة اسابيع تستقصي اخبارهُ وتستطلع طلع حركاتهِ وسكناتهِ

دون ان يدري حتى عرفت انهُ الفتى الذي يليق بها ان تحبهُ وتثق بامانته ِ ووفآئه ِ . وكمل حسن اعتقادهما به ِ عندما رأتهُ جامعاً بين لطف الشمائل وبين الشجاعة والحزم والمرأة تحب الرجل لثلاث خصال المال والجمال والشجاعة فايقنت بعد الذي جرى انها مُحِبَّة محبوبة فاجمعت على ان تهب قلبها لمن منحها قلبهُ وانقذ حياتها وان تصطفيهُ حليلاً لها . ولذلك كان اول ما انصرفت اليه ِ عنايتها بعد رجوعها الى باريز انها اذاعت خبر الصيد في جميع الجرائد فجعل الاغنيآء يطلبون صور جان من كل ناحية واذاع التاجر خبر الكتاب المتقدم ذكرهُ فتهافت الناس على اقتنآئه ِ قبل طبعه ِ

ولما عاد جان الى باريز اخذ الناس يهنئونهُ بفوزه ِ ويطنبون في صناعته ِ ويدفعون اثماناً غالية لشرآء رسومه ِ فحفل صندوقهُ بالمال ونال شهرة بعيدة . وحين وصوله ِ زار جارتهُ الحسنآء المحسنة فتأكدت بينهما اسباب المحبة والولآء وكثرت من ذلك الحين مواعد القرب واللقآء حتى اذا دنا وقت القران وعلمت الخادمة بالامر اعترفت لسيدتها بما كان من امر تلك الرسالة والحيلة التي عمدت اليها لاخفآء ما صنعت مكنستها فغفرت لها ذنبها ان كان يعدُّ بعد الذي جرى ذنباً ووهبتها صداقاً وافراً لتمكنها من التزوج بذلك المحب الذي كانت رسالتهُ سبباً في سعادته ِ وسعادة من كلَّفهُ كتابتها كما كانت عين الفقيد — رحمهُ الله — سبب السعادتين جميعاً لانها قُلعت بعد مماته ِ فاشرق منها نور السعد والنعيم وكانت كذلك الشعر العربي الشهير الذي قلعت عيناهُ فابصر ... والاقدار قد تأتي بالعجائب وللدهر احكام حارت فيها عقول الفلاسفة ومدارك الحكمآء